

شعلة التحرير لن تنطفئ

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

إن حرب التحرير مستمرة وشعلتها لن تنطفئ قبل أن يتحرر لبنان بالكامل. أخي اللبناني وطناً المحتل لن يتحرر بمعجزة من الخارج، بل علينا أن نصنع نحن تلك المعجزة، وها هم طلابنا الأبطال قد أعطونا قبل أيام المثل والأمثلة، يوم حرروا أرنون بعزيمتهم وشجاعتهم دون إطلاق رصاصة واحدة، معربين عورة الحكام وفاضحين عجزهم. أخي يا ابن لبنان الـ ١٠٤٥٢ كلم مربع، المؤمن بكينونته وبتاريخه العريق وبسرمديته، بمقدرنا نحن، أن نجتزح هذه المعجزة، فنحرق الوطن ونسترد قراره. تذكر دائماً أنك ابن شعب عظيم، وأن لبنان لنا ولبنينا من بعدنا، وأنه لن يهنأ لنا عيش قبل انكفاء كل القوى الغريبة عن أرضنا المقدسة المجبولة بدماء وعرق الأجداد والأحفاد.

إن الحرب التي أشعل نيرانها الغرباء في بلدنا سنة ١٩٧٥ لضرب نموذج تعايشنا الفريد والقضاء على الحريات في لبناننا، تلك الحرب ما زالت متواصلة ولو بأشكال مختلفة. ورغم مرور ٢٤ سنة على بدء المؤامرة هذه، فإن فصولها التآمرية والخيانية لم تنته بعد، وهي تزداد بشاعة يوماً بعد يوم. في حين أن معاناة الشعب اللبناني الحياتية والمعيشية في ظل الهيمنة الغربية الكاملة على الوطن ومقدراته ما زالت مستمرة، كما أن أطماع الأشقاء والأعداء على حد سواء، الهادفة إلى قضم لبنان وتفنيته كيانه، تتوضح أكثر فأكثر من خلال التسلط على القرار، وفرض عشرات الاتفاقات المهينة، وتقويض الاستقلال، وضرب الاقتصاد، والاستمرار بتهجير الناس، وإفساد القضاء، وتعيين الأزام والمحاسيب في مراكز القرار، وشق الطوائف والأحزاب والنقابات، وتعريض الأحرار إلى أبشع أنواع الكبت والإرهاب.

إن مأساة لبنان الحالية في جنوبه كما في عاصمته وشماله وبقاعه وجبله، توجس حدوثها الكثير من القيادات الوطنية قبل سنين. كما أن بعضهم ومن موقع المسؤولية حاول منعها والتصدي لها بكافة الوسائل المتوفرة سياسياً وعسكرياً. إلا أن النتائج لم تكن إيجابية لجهة التحرير. ومن محطات التصدي التاريخية البطولية للمؤامرة كانت محطة الرابع عشر من آذار سنة ١٩٨٩ يوم خاض الجيش اللبناني البطل، محاطاً بالشعب حرب التحرير، بشجاعة وفروسية وعقلانية. ورغم أن تلك الحرب لم

تعط نتائج مادية لجهة تحرير الأرض وطرد المحتلين واستعادة الاستقلال المصادر، إلا أنها أعطت نتائجها النفسية وأحدثت تغييرات عميقة وجذرية في وعي ومفاهيم ورؤيا الشعب اللبناني، الذي بات باستطاعته أن يقرر خياراته بوضوح سواءً في الداخل، أم مع الجوار، أم مع العالم. لقد توضحت رؤياه كثيراً بعد أن سقطت كل الأفئعة عن وجوه اللاعبين الإقليميين والدوليين وأبرزت الحقائق بالتجربة التي عاشها لبنان بعد ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠، يوم زحفت الدبابات الشقيقة بمباركة إسرائيلية وأميركية لتُسقط قلعة الشرعية والصمود في قصر الشعب، وتغتال معها الحرية والديموقراطية والاستقلال والكيان والتعايش.

إن حرب التحرير فضحت الشعارات المزيفة التي كان يختبئ وراءها دعاة الديمقراطية من إقليميين ودوليين، وكشفت للبنانيين حقائق مرة كثيرة. لقد أصبح شعبنا واع إلى أقصى الحدود، وتجربته المريرة القاسية التي كلفته الكثير، جعلت منه مقاوماً حضارياً عنيداً، كما زادت من تعلقه بالحرية وبحقه المقدس. وهو الآن وبعد تجربتي ١٤ آذار ١٩٨٩ و ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠، بات يمج المساومات الرخيصة، ويرفض تقبل الواقع الاحتلال.

إن حرب التحرير حررت الشعب اللبناني من التقليد، وجعلته يعي المؤامرة التي كان هو موضوعها ولا يزال. أخي اللبناني في اتفاق الطائف حدثونا عن الوفاق الوطني، وها نحن أبعد منه من أي يوم من أيام الحرب، وها هم قد أضفوا إلى قاموسهم هرطقة السلم السياسي للتفنن في القهر وكبت الحريات وكم الأفواه، حدثونا عن السلام الأهلي، وها نحن في حال القهر الأهلي من جراء إرهاب أمن مزعوم مُحاكٍ بسلاسل الاحتلالات المتوازنة في تحكُّمها بمصيرنا. حدثونا عن العدل، فإذا أحرارنا في المقابر، أو في المهاجر، أو في غياهب السجون. حدثونا عن البحبوحة والرخاء الاقتصاديين، فإذا ببلبناننا يصبح ويفضل عمالتهم من الدول المرهون مستقبل أجيالها بالديون الخارجية، فيما ثلثي الشعب يئن من الحرمان والبطالة والعوز. وعودنا بالأمن والسلام والعدل وبحكم القانون، فإذا بأمنهم كبت وظلم واضطهاد، وعدلهم تغليب وتسلط فئة على فئة، وسلامهم سلامٌ مصطنعٌ يحترق من خلاله جنوبنا الغالي ويُنحر سكانه خدمة لأطماعهم التوسعية.

أخي اللبناني لقد تساويننا في المأساة الوطنية التي سببها لنا صراع الآخريين على أرضنا وتقاسم النفوذ والمصالح والمكاسب على حساب سيادتنا وحقنا في الأمن والحرية والكرامة. تساويننا في الإذلال طوال ٢٤

سنة، وعلينا اليوم أن نتساوى في المسؤولية والتحرر والكرامة والمشاركة. علينا أن نكون شركاء في حرب التحرير المستمرة في قلب وضمير ووجدان كل واحد منا.

أخي اللبناني، معاً نحرر قرارنا، معاً نحرر أرضنا، معاً نطرد المحتلين والمستعمرين من عاصمتنا وشمالنا وجنوبنا وجبلنا وبقاعنا وساحلنا، معاً نسترد لبنان، كل لبنان، من أجل الشعب العنيد، شعب لبنان العظيم. نستردّه اليوم، قبل أن يضيع غداً، ويحكم علينا التاريخ بالتخاذل والعار. فلتكن ذكرى حرب التحرير العاشرة التي ما زالت شعلتها تتوهج في ضمائرنا، عهداً وقسماً ودستور تحرير ومستقبلاً به نلتزم وفي سبيله نستشهد.

إننا في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية نقول اليوم بصوت قوي وعال، وكما قلنا يوم ١٤ آذار سنة ١٩٨٩: لا لاتفاق الغير على لبناننا، لا لقوى التسلط والاحتلال، لا لهيمنة الشقيق، لا لاحتلال العدو، وألف لا ولا، لكل طاغية يوهمه عقله المريض ولو للحظة أن بإمكانه أن يخضع لبنان وشعبه، ويقتل في نفوس أحفاد البشير وعون وفخر الدين ومالك والبستاني والأوزاعي وقدموس ومليقار وهنيبعل توقهم للحرية والديموقراطية.

إن من فاتته من الغزاة والطغاة قراءة التاريخ اللبناني وأخذ العبر منه، فليتعض بصخور نهر الكلب، ليعرف مصير كل محتل ومستبدٍّ حاول ومنذ ٦٠٠٠ سنة تغيير وجه لبنان الحضاري. أخي اللبناني المقيم والمغترب، الوطن ينادينا، فلنلبي النداء، ولتستمر أسطورة البطولة عشت وعاش لبنان حراً سيداً مستقلاً.

تورنتو- كندا في ١٤/٣/١٩٩٩